*معنى الدخيل في الرأي (2)*

*بحث فى الدخيل فى التفسير*

*إعداد أ/ عادل محمد فتحي*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*adel.mater@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في معنى الدخيل في الرأي**

**الكلمات المفتاحية : قوانين، الإسلام ، الدخيل**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن معنى الدخيل في الرأي**

**عنوان المقال**

**وضع الكلام على غير موضعه:**

**مثال ذلك: قوله -تبارك وتعالى- {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} [البقرة: 255] أورد بعضهم كلامًا وتفسيرًا لا يليق وغير مراد من الآية؛ فبعض المتصوفة فسروا الآية بأن معناه: "من ذل ذي يشفى عو" انظر إلى تقطيع الآية وفسروا كل كلمة بمعنى، من ذل: أي من الذل، ذي: إشارة إلى النفس، يشفى: من الشفا جواب مَن، عو: أمر من الوعي، وهذا إلحاد في آيات الله.**

**ولا يخفى أن من في الآية استفهامية؛ فالله في هذه الآية يذكر {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} استفهام بمعنى النفي، استفهام إنكاري، كأن الله يقول: لا أحد يشفع عند الله في الآخرة إلا بإذنه  وإلا لمن ارتضى الله  كما فسرت الآيات يفسر بعضها بعضًا فمن هم هنا استفهامية لا شرطية، والاستفهام إنكاري بمعنى النفي ولذا جاء الاستثناء بعده. والمقصود من الآية: بيان كبرياء الله، وعظم شأنه، وأن لا أحد يساويه، أو يدانيه؛ بحيث يستقل أن يدفع ما يريده الله دفعًا على وجه الشفاعة؛ فضلًا عن أن يستقل بدفعه عنادًا، أو مكابرة، أو مناصبة، وهذا تأييس للكفار؛ حيث زعموا أن آلهتهم شفعاء لهم عند الله -تبارك وتعالى- تفاسير (البيضاوي) و(الألوسي) و(الكشاف) وغيرهم.**

**مثال آخر: تفسير الآية بشيء لا يليق مع الذوق السليم، واللغة العربية الفصيحة، مثال ذلك قولهم عند الآية: {ﮠ ﮡ ﮢ} [الأحزاب: 27] فإن قوما فسروا الأرض بمعنى نساء الأعداء، والزمخشري يصف هذا التفسير بأنه من البدع. ومن المعلوم: أن الآيات تتكلم عن غزوة الأحزاب وعن بني قريظة، وما أنعم الله به على المسلمين من توريثهم أرض بني قريظة وأموالهم الذين نقضوا العهد وغدروا في غزوة الأحزاب، فحمل الآية على أن أرضًا لم تطئوها نساء الأعداء، هذا تفسير الآية بشيء إن لا يصح، ولا يليق ذوقًا أبدًا.**

**تفسير الآية بلغة شاذة أو غريبة:**

**مع أن القرآن الكريم نزل بأفصح اللغات؛ فوجب على المفسر أن يحمله على أفضل وجوه التأويل، ويبتعد عن تفسير الآية بلغةٍ شاذةٍ أو غريبة، ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: {ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} [التوبة: 8] فالإل معناها القرابة، وقيل: العهد، وقيل: الحلف، ولكن قومًا فسروا الإل بمعنى الله  كيف يصح هذا، وأسماء الله توقيفية؟! أي: لا يصح أن يسمى الله باسم إلا إذا جاء صريحًا في آية كالأسماء المذكورة في خواتيم سورة الحشر أو ورد في حديث صحيح، فكلامهم هذا تفسيرٌ للآية بلغةٍ غريبةٍ شاذة.**

**وإليك مثالًا آخر أيضًا من أمثلة هذا النوع: ما أوردوه في قوله جل وعلا: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ} [القصص: 32] فالرهب هنا مقصود منه الخوف، وفي ذلك يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: وهو بمعنى الخوف، والمعنى: إذا هالك أمر يدك وشعاعها، فأدخلها في جيبك وارددها إليك، تعد كما كانت، فهناك قوم فسروا الرهب بمعنى الكُم، وهو تفسير غريب لا يتفق مع مفهوم الآية.**

**تفسير الآية تفسرًا يصادم الشرع ويأباه العقل:**

**وذلك كما فسر بعضهم قوله تعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ} [ق: 19] قال: إن الخطاب هنا للرسول، والإنسان يعجب من ذلك، والله تعالى يقول لرسوله: {ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [الضحى: 4] فهذا تفسيرٌ يصادم هذه الآية، ويأبى العقل قبوله؛ إذ كيف يفضل  الحياة الفانية على الآخرة الباقية ذات النعيم الدائم والمتاع المقيم.**

**-والصحيح: إن هذه الآية، إنما وردت للفاجر أو الكافر، أما البر المؤمن فلا يحيد عن الموت، ولا يهرب منه؛ فضلًا عن رسول الله  وكيف يحيد النبي عن الموت، وهو الذي خيَّرَهُ الله بين الدنيا وبين ما عنده؛ فاختار ما عند الله كما ثبت في (الصحيحين).**

**أيضًا، هنا نجد نماذج لا يُرَاعَى فيها سياقُ الكلام أثناء التفسير وذلك كقول المفسرين في تفسير قوله تعالى: {ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ} [البقرة: 243] فالمعروف أن كلمة ألوف جمع ألف، لكن بعض المفسرين فسروا الألوف بالألفة، وهذا التفسير بعيد من سياق الكلام؛ لأنه لا معنى لذكر الألفة هنا، ولا مناسبة تقتضيها، وإنما التفسير الصحيح لقوله تعالى: {ﮡ ﮢ} أي عددهم كثير، فالألوف جمع ألف، وهذا هو المناسب لسياق الكلام.**

**علم القراءات:**

**والقراءات أيضًا هي من اللغة، إن البدع التي تتعلق بالقراءات في كتب التفسير صنفان:**

**- رد قراءة نزل بها جبريل الأمين # من عند الله على قلب رسول الله .**

**- استحداث قراءة ليس لها سند صحيح.**

**مثال الأول: ما ذكره المفسرون، فبعضهم رد قراءة حمزة أحد القراء السبعة لقوله تعالى: {ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ} [النساء: 1] فالقراءة بجر الأرحام "تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ" قراءة حمزة، والذي جعلهم يردون هذه القراءة مسايرتهم لمذهب البصريين في قاعدة العطف التي تقول: إن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الجار له، نحو: مررت بك وبزيد، وهم يقولون: لا يجوز: مررت بك وزيدٍ، هكذا يشرح ابن عقيل وكتب اللغة، ولكن هذا ليس محل اتفاق بين النحاة؛ فقد أجاز الكوفيون هذا العطف؛ ونظرًا لوروده في النثر والنظم فقد مال إليه العلامة ابن مالك حيث قال:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وعود خافض لدى عطف على** | **\*** | **ضمير خفض لازمًا قد جعل** |
| **وليس عندي لازمًا إذ أتى** | **\*** | **في النظم والنثر الصحيح مثبتَا** |

**العلامة ابن مالك مالَ إلى الجواز، وهو ما عليه الكوفيون.**

**ويرد الإمام القشيري على هذا الرأي برد يقوم على دعامتين:**

**إحداهما: أن القراءة جاءت عن الرسول  وهذه القراءة أخذت عن الرسول بطريق التواتر.**

**الأخرى: إن العربية تؤخذ عن الرسول  فالرسول هو عربي، وأفصح من نطق بالضاد، والقرآن كلام رب العالمين يؤخذ منه القواعد، ولا يقعّد عليه.**

**أيضًا من هذه الأمثلة التي ردوا بها قراءة صحيحة، ما ورد في قراءة سيدنا جبريل على قلب رسول الله  في الآية: {ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} [الأنعام: 137] لقد رد الزمخشري قراءة ابن عامر ببناء الفعل لما لم يسمّ فاعله "وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهَمْ شُرَكَائِهُمْ" ببناء الفعل لما لا يسم فاعله، ورفع القتل وأضاف لشركائهم، فصار قتلُ أولادَهم شركائِهِم، وبخفض شركائهم، ونصب أولادَهُم، لوقوع القتل عليهم، وحال بينهم وبين المضاف إليه.**

**وفي ذلك يقول: وأما قراءة ابن عامر: "زُيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهَمْ شُرَكَائِهُمْ" برفع القتل، ونصب الأولاد، وجر الشركاء على إضافة القتل إلى شركائهم، والفصل بينهما بغير الظرف؛ فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر؛ لكان سمجًا مردودًا إلى أن قال: فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن لفظه ونظمه، وجزالته، والذي جعله يقول بهذا: أنه رأى في بعض شركائهم مكتوب بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب.**

**ولقد احتج الزمخشري في رد هذه القراءة: بأنها مخالفةٌ للقواعد النحوية التي لا تجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف، كما أرجع خطأ ابن عامر في قراءته هذه إلى رسم المصحف؛ حيث قال: والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركايهم مكتوبًا بالياء؛ فالسبب إذًا في رد هذه القراءة في رأي الزمخشري: هو رسم المصحف، وأن ابن عامر اعتمد على المصحف، ولم يعتمد على الرواية، وهذا غير صحيح؛ بل إنه منكر مردود؛ وذلك لأن هذه القراءة رويت، وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف، وجمع القرآن، ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف، ولا الشكل اخترع؛ فظهرت حركة القراءات قبل النقل، والضبط؛ فكانت قراءتهم للكلمة على حسب ما يروون، وينقلون لا على ما يقرءون في المصاحف.**

**وبهذا نقول: فالعمدة في القراءة الرواية والمشافهة والتلقي، وليس رسم المصحف أو خطه، ونحن لا يمكننا بحال أن نقبل من الزمخشري تخطئته لقراءة ابن عامر، بل إننا نكر عليه رده لهذه القراءة، وتعلله في ذلك بأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه غير جائز عند النحاة. ونقول: إن ذلك جائز عندهم؛ فإذا كان بعض النحاة قد منعه؛ فإن آخرين قد أجازوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف إذا كان المضاف شبه فعل بأن كان مصدرًا أو اسم فاعل، وكان عاملًا النصب فيما هو فاصل كما هو الحال في الآية التي نحن بصدد تفسيرها.**

**وحتى لو سلمنا: أن قراءة ابن عامر منافية لقياس العربية؛ لوجب قبولها أيضًا بعد أن تحقق صحة نقلها، كما قبلت أشياء ثبتت، وإن نافت القياس مع أن صحة نقلها هي المعتمد، وطبعًا صحة القراءة أولى... إلى آخر الكلام في هذا المثال.**

**الرد على ذلك:**

**تكلم فيه أبو حيان وغيره، ونكتفي بهذا في رد كلام (الكشاف) حيث يتبين لنا أن قراءة ابن عامر قراءة صحيحة يجب قبولها، وقد نص أئمة القُرَّاءَ على أن الاعتماد في قبول القراءة، إنما هو في ثباتها، وصحة نقلها، لا على ما عُرِفَ في اللغة أو فشا أو كان مقيسًا فيها، بل الأثبت الأثر، والأصح في النقل والرواية، وهو ثابت عندنا.**

**ما استحدثه البعض:**

**فاستحداث قراءة ليس لها سند صحيح ما قرئ في قوله تعالى: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصِبْ" [الشرح: 7] روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصِب بكسر الصاد، ويقصد بذلك عليًّا للإمامة، ولا شك أن هذه القراءة من الرافضة، وهي مرفوضة لعدم ورودها من طريق صحيح، سواء كانت القراءة التي يتكلم عنها هؤلاء يرفضون قراءة ثابتة، أو يختلقون قراءةً غير صحيحة؛ فهذا كلام لا يقبل، وإنما هو مرفوض.**

**فيأتي إنسان ما ويؤول الآية لصالحه، ويجعل "فانصِب" أمر من النصب الذي هو عداوة علي وكراهيته؛ ولذا يقول الزمخشري: من البدع ما روي عن بعض الراوية أنه قرأ "فانصِب" بكسر الصاد أي: فانصب عليًّا للإمامة، ولو صح هذا لرافضي؛ لصح للناصبي الذي هو بغض علي وعداوته، وهذا كلام لا يقبل.**

**ومن أمثلة هذا النوع أيضًا، وهو استحداث قراءة لا سند لها ما أورده البعض في تفسير قوله: {ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ} [الفلق 1، 2] فقد قرأ بعض المعتزلة "مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ" بتنوين شرٍّ، وجعل ما نافية، ومعنى ذلك: أنهم يستعيذون برب الفلق من شرٍّ لم يخلقه هو، بل خلقه فاعله، وذلك وفقًا لمذهبهم الاعتزالي، وهذا ولا ريب تحريفٌ في كتاب الله العزيز.**

**قال ابن عطية فيما نقله عنه العلامة الألوسي عن هذه القراءة: هي قراءة عمر بن عبيد، وبعض المعتزلة القائلين: بأن الله تعالى لم يخلق الشر، وحملوا "ما" على النفي، وجعلوا الجملة في توضيح الصفة، أي: من شرٍّ ما خلقه الله تعالى ولا أوجده، وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل.**

**المصادر والمراجع**

1. **المحمدي عبد الرحمن، (الدخيل في التفسير) ، القاهرة، جامعة الأزهر، مطبعة حسان، 2009م.**
2. **الذهبي، محمد حسين الذهبي، (التفسير والمفسرون) ، طبعة دار الأرقم، 1999م.**
3. **الذهبي، محمد حسين الذهبي، (الإسرائيليات في التفسير والحديث) ، طبعة مكتبة وهبة، 1990م.**
4. **شليوه، سمير شليوه، (الدخيل والإسرائيليات) ، القاهرة، جامعة الأزهر**
5. **رضوان، على حسن السيد رضوان، (الدخيل في التفسير) ، جامعة الأزهر، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.**
6. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 20003م.**
7. **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (الملل والنحل) ، طبعة دار الفكر، 2001م.**
8. **محمد الخضر حسين، (البابية أو البهائية) ،مجمع البحوث الإسلامية**
9. **القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، (تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل) ، طبعة دار إحياء الكتب العربية، 1960م.**
10. **الشعراوي، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، (معجزة القرآن) ، القاهرة، طبعة مكتبة أخبار اليوم، 1993م.**
11. **الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي، (الموافقات في أصول الشريعة) ، دار الكتب العلمية، 1993م.**
12. **الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، تحقيق:محمد سيد كيلاني (المفردات في غريب القرآن) ، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي، 1961م.**